

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

### شرح حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا هو الحديث الخامس مما ذكره الإمام النووي - رحمه الله - في هذا الكتاب المبارك رياض الصالحين في باب المراقبة.

قال: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَأْتِيَ الْمَرءُ مَا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ))<sup>(١)</sup>، متყق عليه.

تكلمنا بكلام طويل عن الغيرة، وذكرنا أن الغيرة على أنواع متعددة: فمنها غيرة الله - عز وجل - إذا انتهكت محارمه، فالله - تبارك وتعالى - قد أمر عباده بالتوحيد، ونهاهم عن أعظم جرم وأكبر جنایة وأقبحها، وهي الإشراك بالله - تبارك وتعالى -، لأن ذلك يحصل فيه شكر غير المنعم، وعبادة غير المنعم، فالله - عز وجل - الذي أولاًنا، وأعطانا، وأكرمنا ينبغي أن نعبد قلوبنا وجوارحنا له - تبارك وتعالى - وحده لا شريك، فإذا توجه العبد بشيء من عمله إلى غير المنعم فشكره وعده من دون الله - تبارك وتعالى - فإن ذلك هو أعظم جرم، وأعظم جنایة على الإطلاق، ولهذا قال الله - عز وجل -: {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]، ولذلك كانت جنایة الشرك لا تعادلها جنایة، فكتب الله - عز وجل - على صاحبها الخلود في النار، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَ إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨]، فالله يغار على عبده أن يعبد غيره، وأن يتوجه إلى غيره بتذليل نفسه وتعبيدها إلى هذا الغير، سواء كان ذلك بعبادته عبادة مباشرة كما يقال: العبادة التقليدية، يعني بالركوع والسجود والصوم والذبح، أو كان ذلك بتعلق القلب، فإن الله يغار على قلب عبده المؤمن أن يتوجه إلى غيره، وأن يشتغل بغيره، وأن يمتلك بحب غيره محبة تراحم محبة الله - عز وجل - في هذا القلب.

كما أن الله - تبارك وتعالى - يغار على قلب المؤمن من أن يحصل له نوع عجب، ورکون إلى عمله الصالح الذي عمله، ولهذا يسوق الله - عز وجل - له ما يسوق من ألوان البلايا والمحن من أجل أن ينكسر، وأن ينطرب بين يديه، وأن يتذلل فيقترب إلى الله - عز وجل - بهذه العبودية، كما أن الله - جل جلاله - يغار على عبده المؤمن أن ي الواقع شيئاً من الفواحش والموبقات، وما إلى ذلك من ألوان الذنوب والمعاصي.

<sup>١</sup> - أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة (٤٩٢٥)، رقم: (٢٠٠٢/٥)، ومسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش (٢١١٤/٤)، رقم: (٢٧٦١).

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما قال سعد بن عبادة -رضي الله عنه- في الحديث المشهور لما سأله النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه إذا وجد الرجل رجلاً مع امرأته ماذا يفعل؟ فسعد -رضي الله عنه- قال: أضربه بالسيف غير مُصحح<sup>(٢)</sup>.

يعني: أن المسألة لا تقبل شكایة وترافعاً، وإنما يضربه بالسيف غير مُصحح، فالحاصل أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: أتعجبون من غيرة سعد؟ والله إني لأغیر من سعد، وإن الله أغير مني ومن سعد، وذلك في الإشهاد حينما قال الله -عز وجل-: **{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدًا وَلَا تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** [النور: ٤].

والمعنى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أغیر من سعد، والله أغير من النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن سعد، ومع ذلك طلب التحري والشهود وما أشبه ذلك.

فالملحوظ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر غيرته، والواقعة تدل على شدة غيرة الصحابة، بل إن سعد بن عبادة لما قال ما قال، لما نزلت آية سورة النور **{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدًا وَلَا تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** [النور: ٤]، وكان سعد -رضي الله عنه- إذا طلق امرأة لا يتجرأ أحد أن يتزوجها بعده، فكيف لو أن أحداً أراد زوجته برببية، ماذا يصنع به؟

وقد قال الفرزدق وهو شاعر ماجن من المُجَان، كما هو معروف، يقول:

وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيُؤْسِدَ زَوْجِي \* كَسَاعٍ إِلَى أَسْدِ الشَّرِّ يَسْتَبِيْهَا

يقول: هذا مثل الذي يأتي إلى الأسود ويتحرش بها، ماذا تصنع به؟، وهكذا الغيرة، وأخبار الناس أهل الغيرة في هذا كثيرة جداً، بعضهم يغار على امرأته من السواك إذا استاكت، كيف يختلط ريقها، ويدخل في فمه، يغار من السواك، ويغار عليها من كل شيء، فلا يقبل أن ترى امرأته، أو أن تقع في موقع ريبة أو نحو ذلك، والله أعظم غيرة من هذا.

فمن استشعر هذا المعنى فإنه يتذكر جيداً إذا أراد أن تمتد عينه إلى شيء من خائنة الأعين فإنه يتذكر غيرة الله -عز وجل-، إذا أراد أن يكلم امرأة كلاماً فيه ريبة، أو أن يخلو بها، أو أن يقارف معها ما لا يليق فليتذكر غيرة الله -عز وجل-، لو أن هذه المرأة لها زوج عظيم الغيرة، ولها أحماء، ولها أولياء، ولها أهل من أعظم الناس غيرة، هل يجترئ أحد على أن يقارف ريبة معها؟ لا أحد يجترئ على هذا، فالله -عز وجل- أعظم غيرة من خلقه، فينبغي للإنسان أن يتذكر هذا سواء فيما كان يدرس الأخلاق مما يتصل بالأعراض، أو مما عدا ذلك من ألوان معصية الله -عز وجل-، بأكل الربا والرُّشْي، و فعل كل محرم من تضييع الصلوات، الذي ينام عن صلاة الفجر فلا يصلحها إلا بعد طلوع الشمس، والذي يتشارغل عن طاعة الله -عز وجل- التي افترض عليه بشيء من دنياه، والذي يفعل معصية الله -عز وجل- من غيبة ونميمة وكذب

<sup>٢</sup> - أخرجه البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتلته (٦٤٥٤)، رقم: (٢٥١١/٦)، ومسلم، كتاب اللعان (١١٣٦/٢)، رقم: (١٤٩٩).

وفجور وما إلى ذلك، فالله -عز وجل- شديد الغيرة، وغيرته ستبارك وتعالى - حينما تنتهك محارمه، فما ظنك إذا كانت غيرته بهذه المثابة؟!.

والغيرة في كلامنا وفيما نعرف من معانيها هي بمعنى الأنفة، فأقول: إذا كان المخلوق يحصل له من الغيرة ما يحصل فالله -عز وجل- أعظم وأجل غيرة تليق بجلاله وعظمته.

ولو أننا تذكّرنا هذه المعانٰي لكان ذلك عن كثير من الأمور التي ن الواقعها، من تفريط في طاعة الله -عز وجل-، وإخلاد إلى الكسل يحملنا على شيء من التقصير، ولربما حملنا شيء من الجراءة أو الطمع على مقارفة معصية الله -عز وجل- بأي لون كانت هذه المقارفة، فتذكّر هذا دائماً، وتذكّر أن الله -عز وجل- يمهل ولا يهمّل، وأنه يراك، ويطلع عليك، لا تخفي عليه من أفعالك خافية.

هذا، وأسأل الله -عز وجل- أن يلهمنا رشدنا، وأن يصلح لنا شأننا كلّه دقّه وجله، وأن يرزقنا وإياكم المراقبة والخوف منه -جل جلاله-، والرغبة إليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.